ثانيا : الاتجاه الثقافي (سيمولوجيا الثقافة):

ير تبط هذا الاتجاه بمجموعة من الباحثين السوفيات (المعروفين بجماعة موسكو - تارتو) التي كان يمثلها كل
من: إيفانوف (**Ivanov**)، وأوسبنسكي(**Ouspenski**)، ولوكموتسيف(**lekomcev**)، ولوتمان(**Lotman**)، وغيرهم ويعد يوري لوتمان (**Youri Lotman**) من أهم الشكلانيين الروس الذين اهتموا بسيميوطيقا الثقافة، علاوة على عنايته ببنية النص الفني، خاصة أنه كان عضوا مهما في مدرسة تارتو (**Tartu**) بموسكو، ومن أهم كتبه: (سيمياء الكون) ، و(انفجار الثقافة) و(بنية النص الفني)..وكذا الباحثين الإيطاليين منهم أمبرطو إيكو(**U.Eco**) وروسي لاندي(**Rossi Landi**) اللذين اهتما كثيرا بالظواهر الثقافية، باعتبارها موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية تتضمن عدة أنساق (لغات طبيعية واصطناعية وفنونا وديانات وطقوسا وغير ذلك) وبالتالي فسلوك الإنسان –حسب هذا الإتجاه – إلا تواصل داخل ثقافة معينة هي التي تعطيه دلالته ومعناه .

كما استفاد هذا الاتجاه من فلسفة الأشكال الرمزية لكاسيرر التي تقوم رؤية للوجود الإنساني تختلف عن الوجود الحيواني ، إذ اعتبر هذا الأخير الإنسان" حيوان رمزي" على خلاف الكلاسيكيين الذين اعتبروا "الإنسان حيوان ناطق "،كما اعتبر أن اللغة البشرية تمثل التطور المتقدم للإنسان ، فلقد انتقل من طور الطبيعة إلى طور الثقافة أي من طور العلامات إلى طور الرموز القابلة للتعميم ، والعلامات تنتمي إلى عالم الطبيعة ..والرموز تنتمي إلى فضاء المعنى ، وبما أن الإنسان حيوان رامز ، فإن مبدأ الرمزية تساعده على عملية الإبداع الثقافي وا نتاج الأنساق السيميائية الدالة

في حين أن الفروق التي التمسها كاسيرر بين الوجوديين قد أخضت بعدا فلسفيا محضا والتي انصبت كلها حول محاولة تحديد خصائص النوع البشري ،والتي انصبت فيمايلي:

- تميز الإنسان عن الحيوان بالقدرة على التجريد.
- تعدد أبعاد حياة الكائن البشري ، وهذا التعدد كفيل بإنتاج الخاصية الرمزية التي تشكل وسيطا بين الإنسان والعالم الخارجي .
- التأكيد على الطابع الرمزي للإنسان من خلال مكونات الثقافة .

باعتبار أن الإنسان يعيش في مجتمع تعدد فيه أوجه الثقافة كالسياسة والدين والفن ....وهذه الأوجه هي التي يتخذ منها الإنسان تجاربه التي يحولها بمرور الزمن إلى نظام رمزي للتعبير يتحرر به من سلطان الموجودات والمكان . كما كانت ولازالت الثقافة من بين أهم الموضوعات التي حضيت باهتمام العلماء الأنثبولوجين ، ويعد كلود ليفيشتروس (**Claude Lévi- Strauss**) من الأنتروبولوجيين الأوائل الذين درسوا علاقة الثقافة بالطبيعة، ضمنأنظمة الأبوة وا إنتاج الأساطير وكان هدفه هو البحث عن الانسجام الدلالي لأنظمة الأبوة، مستلهما في ذلك كثيرا من الأعمال الأنتروبولوجية الأنكلوسكسونية وأبحاث المدرسة السوسيولوجية الفرنسية، سيما دراسات مارسيل موس (**Marcel Mauss**) ومارسيل كراني (**Marcel Granet**) ومن ثم، فقد بين كلود ليفي شتروس كيف انتقل الإنسان من الطبيعي نحو المجتمعي والثقافي. كما درس البنيات المعقدة والمركبة لظاهرة الأبوة. كماخصص أربعة أجزاء ،من كتابه (الميثولوجيات)، لدراسة الحكايات الأسطورية في ضوء المنهج البنيوي، على غرار الشكلاني الروسي فلاديمير بروب (**Vladimir Propp**). وعلى العموم، لقد انصبت أعمال كلود ليفي شتروس على رصد الثوابت والمتغيرات والتحولات في بنية الأساطير

في حين نجد أن جهود الباحثين الروس والمعروفين بجماعة موسكو –تارتو قصد انصبت بشكل كبير في هذا الاتجاه من خلال التطرق إلى العديد من النقاط المتعلقة بالثقافة والتي نجدها بالتحديد في كتاب سيميائية الكون ليوري لوتمان ،وقد ركز يوري لوتمان في كتابه هذا على مجموعة من المفاهيم هي: سيمياء الكون، والمركز والهامش، والفضاء الثلاثي: الداخل والخارج والحدود، والفضاء الجغرافي في مقابل الفضاء الثقافي الكوني، و سيميوطيقا الثقافة، و سيمياء الترجمة، وسيمياء الحوار...

إذا يرى لوتمان عن الفضاء الثقافي الكوني يرفض الانعزال والانغلاق والأحادية، فالكون هو الفضاء الحيوي الملائم لتطور الثقافة واستمرار حياة الذوات و الأغيار، وقد كتب فيرنادسكي:" كل المجموعات الحية تعد مرتبطة حميميا، البعض بالآخر. لا يمكن للواحدة أن توجد بدون الأخريات. هذه العلاقة الثابتة بين مختلف المجموعات وطبقات الحياة، تعد أحد المظاهر التي لا تطمس للآلية الفاعلة داخل القشرة الأرضية، والتي تمظهرت على طول الزمن الجيولوجي. "

إذ ترتبط سيميوطيقا الثقافة، عند يوري لوتمان، بالفضاء الكوني الذي تندرج فيه، فلكل ثقافة كونها السيميائي الخاص والعام، وقد يكون هذا الفضاء المتخيل واقعيا أو مجردا أو محتملا أو مفترضا أو ممكنا. ومن ثم فسيميوطيقا الفضاء" لها أهمية استثنائية، وربما حاسمة في تمثيل العالم الخاص بثقافة معينة،

وترتبط هذه اللوحة للعالم بخصوصيات الفضاء الواقعي، ليكون لثقافة ما تأثير في الحياة، يجب أن تتصور تمثلا عميقا للعالم، نموذجا مكانيا للكون. تعيد النمذجة المكانية بناء الشكل المكاني للعالم الواقعي. غير أن الصور المكانية يمكن أن تستعمل بصور مختلفة. ".

ولكن بالرغم من أنهذا الكو ن يتسم باللاتجانس أي بالتعددية والاختلاف وعدم التماثل والتوازي بمعنى أن هذاالكون يتضمن لغات وأنساقا ثقافية مختلفة، تترابط فيما بينها، وتتعدد بنية ودلالة ووظيفة وبالتالي يشتمل هذا الكون

على تجارب سيميائية مختلفة وبنيات لغوية متعددة إلا أن هناك ترابط وأواصر جامعة بين هذه اللغات، وخير دليل على هذا الترابط ما تقوم به الترجمة من نقل للمعاني والتجارب السيميائية من لغة إلى أخرى ،ويعد يوري لوتمان من الرواد الأوائل الذين أسسوا سيمياء الترجمة من خلال التوقف عند مبدأ اللاتجانس. ومن المعروف أن الترجمة فعل ثقافي، بواسطته تتفاعل الثقافات وتتناص وتتواصل، وتعد الترجمة أيضا أساس الفعل الثقافي، وأساس سيمياء الكون..

وعليه ،" فبنية سيمياء الكون تعد لاتناظرية و يجد اللاتناظر تعبيرا له في اتجاهات الترجمة الداخلية التي تجعل كثافة سيمياء الكون قابلة للاختراق. تعد الترجمة آلية للوعي الأولي. إن فعل التعبير عن مصطلح داخل لغة مغايرة للغة الأصل يعد سبيلا للوصول لفهم هذا المصطلح، ومادامت اللغات المختلفة لسيمياء الكون تعد لا متناظرة سيميوطيقيا، بمعنى أنها خالية من التطابق الدلالي المتبادل، فإن كلية سيمياء الكون يمكن أن تعتبر بمثابة مو لدا للأخبار"

ويعني هذا كله أن الترجمة خير دليل على ثراء سيمياء الكون؛ لأنها تعبر عن عمليات ثقافية، مثل: التواصل والمثاقفة، والتبليغ، والتفاعل الثقافي ،ومبدأ الاختلاف، وتبادل المعلومات والأخبار،وقد كانت نقطة انطلاق هذه الجماعة (موسكو- تارتو) في التميز بين منظورين للثقافة : الثقافة من منظور داخلي ، أي من منظور ذاتها ،وهو المنظور الذي يمثله حامل هذه الثقافة ومستعملها ، ثم الثقافة من منظور خارجي ، أي من منظور النظام العلمي الذي يصفها

في المنظور الأول نجد الثقافة تتعارض مع كل نشاط متباين لها أو متعارض معها ، إذ تعتبره "غير ثقافي" والمعيار الذي يحدد هذا التعارض هو نمط الثقافة المعطاة ذاتها : فكل ما ينطوي داخل المجال المغلق

لهذه الثقافة يعد ثقافيا ، وكل ما يخرج عن هذا المجال هو غير ثقافي ، وانطلاقا من هذا المنظور الداخلي تبدو الثقافة قائمة بذاتها ولا تحتاج إلى ما يقابلها (أي اللا - ثقافة) فهي نظام والباقي فوضى

أما المنظور الثاني فيعد " الثقافة " واللا- ثقافة " مجالين يحدد كل منهما الأخر ويحتاج إليه : فالثقافة تخلق اللا - ثقافة وتستوعبها بإستمرار .

وبهذا فإن لكل نمط من الثقافة ما يقابله في اللا - ثقافة ، وفي هذا الصدد فقد عبرت جماعة تارتو عن فكرة رائدة مفادها أن القرن العشرين بعد أن استهلك احتياطات التوسع المكاني للثقافة ،اخترع مشكل " العقل الباطني " أي اللاشعور ، فكل نظام لها نمطه الخاص من "الفوضى" بيد أن هذه الفوضى، إذا نظر إليها من منظو ر خارجيتظهر باعتبارها مجالا لتنظيم مغاير أما إذا نظر إليها من منظور داخلي فهي عبارة عن "لا تنظيم " ،ويفهم منكل هذا أن كل ثقافة هي ثقافة في ذاتها – ولا ثقافة بالنسبة لغيرها.

كما يولي جماعة موسكو - تارتو أهمية بالغة للغة الطبيعية ويعتبرونها نظاما مركزا في بنية الثقافة وذلك لأنها هي النسق الأول الذي تخضع له الأنساق الثانوية الأخرى دون أن تكون بالضرورة مطابقة لها ،غير أن الجماعة تفحص جيدا أشكال العلاقة بين النص اللغوي والنص الثقافي ، إذ تخلص هذه الجماعة إلى أنه ليس كل رسالة باللغة الطبيعية يعد نصا ثقافيا ، وليس كل نص ثقافي نصا باللغة الطبيعية ، لأن النص الثقافي ينبغي أن يكون " رسالة تحمل معنى متكاملا ،وتؤدي وظيفة تشاركها فيها نصوص أخرى وتنتظم داخل نظام الثقافة ككل ". هذا بغض النظر إذا كانت هذه الرسالة نصا لغويا أو لوحة تشكيلية أو مقطوعة موسيقية أو بناية أو غير ذلك " .

بالإضافة إلى الاتجاه الروسي المتمثل في جماعة موسكو – تارتو نجد اتجاه أخر اهتم بالظواهر الثقافية سمي الاتجاه الإيطالي الذي كان من أبرز عناصره روسي لاندي " و "أمبرطو إيكو" و" إذ يرى هذا الأخير أن الثقافة لا تنشأ إلا حينما تتوفر الشروط الثلاثة التالية:

- حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة للشيء الطبيعي...

- حينما يسمي ذلك الشيء باعتباره يستخدم في شيء ما، ولا يشترط أبدا قول هذه التسمية بصوت مرتفع كمالا يشترط فيها أن تقال للغير.

حينما نتعرف على ذلك الشيء باعتباره شيئا يستجيب لوظيفة معينة، وباعتباره ذا تسمية محددة، ولا يشترط استعماله مرة ثانية، وإنما يكفي مجرد التعرف عليه".

مفهوم العلامة عند هذا الاتجاه : ففي الوقت الذي أهمل فيه دسوسير وكثير من علماء اللغة المرجع بسبب أن ذلك لا يلامس استعمال الفرد للغة بصورة مباشرة من جهة ، كما قد لايفيد في دراسة اللغة ،فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى : الدال – المدلول – والمرجع

كما أن هذا الاتجاه أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة. فإذا كانت الدلالة لا توجد إلا من خلال العرف والاصطلاح، فهذان بدورهما هما نتاج التفاعل الاجتماعي. وعلى هذا، فهما يدخلان في إطار آليات الثقافة. ولا ينظر هؤلاء العلماء إلى العلامة المفردة، بل يتكلمون دوما عن أنظمة دالة. أي عن مجموعات من العلامات، ولا ينظرون إلى الواحد، مستقلا عن الأنظمة الأخرى، بل يبحثون عن العلاقات التيتربط بينها، سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة(علاقة الأدب مثلا بالبنيات الثقافية الأخرى مثل: الدين والاقتصادوأشكال التحتية...إلخ)، أو يحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني، أو بين الثقافات المختلفة للتعرف على عناصر التشابه والاختلاف، أو بين الثقافة واللاثقافة".

إن أصحاب مدرسة "تارتو" وأصحاب الاتجاه الإيطالي قد شكلوا بحق اتجاها سيميولوجيا خاص بالثقافة ، حمل على عاتقه دراسة الكثير من المظاهر الثقافية دراسة سيميولوجية ، وأهم هذه المظاهر النصوص ،الصورة والإشهار ومختلف الفنون .